اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ

أخواتي الكريمات بداية نحمد الله الذي خلقنا من العدم وأنعم علينا بنعمة الوجود فأطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا وجعلنا مسلمين فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

لك الحمدُ حمدًا نستلِذُّ به ذِكرًا *** وإن نكُ لا نُحصِي ثناءً ولا شُكرًا

لك الحمدُ حمدًا طيّبًا يملأُ السماء *** وأقطارَها والأرضَ والبَرَّ والبحرَا

إن أوقات المرء في هذه الدنيا أوقاتٌ ثمينة، وإن كل يوم يعيشه المرء في هذه الحياة مكسبٌ وغنيمة، وإن مَن لم يحفظ أوقاته ويغنم لياليه وأيامه خسر خسرانًا عظيما .

وما أحوجنا في هذا المقام إلى الموعظة التي يكون بها إيقاظ القلوب وتحريك النفوس وإزالة ما في القلوب من غفلة وما في النفوس من إهمال أو تفريط.

وإنَّ من المواعظ العظيمة؛ عظيمة التأثير كبيرة الفائدة في هذا الباب - باب صيانة الأوقات وحفظ الأعمار ورعاية الحياة بما يرضي الله تبارك وتعالى- وصية ثبتت عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه عظيمة النفع بالغة الأثر؛ روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ."

معنى غنيمة: ❶ما يؤخذ من المحاربين بالقوة. ❷غنيمة: كل ما ظفر به.

وحقيقة اغتنمام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، ليس بالأمر السهل، فهو يحتاج الى جهاد عظيم وقوة وثبات أمام الصوارف والشهوات، حتى يظفر برضى الله والاجر العظيم في الدنيا والاخرة.

أما من اتبع هواها، هلك وهوى في أوحال الدنيا وعذاب الآخرة، (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)الجاثية(23)

فالنفس تميل إلى الكسل والعجز، فقضية اغتنام واستثمار الأعمار والأوقات بما ينفع يحتاج إلى قوة إرادة وعزم وتصميم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ) رواه مسلم

إذا تأملنا في الشباب؛ فإنها مرحلةٌ من حياة المرء، مرحلة بهجة ونضارة وقوة، إلا أن الشباب لا يبقى ولا يدوم، فكل شبابٍ يعقبه هرم، ثم إن هذه المرحلة من حياة المرء مرحلة الشباب يُسأل عنها المرء يوم القيامة كما في الحديث الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال :(لَنْ تَزُولَ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعٍ خِصالٍ عن عُمُرِهِ فيمَ أَفْناهُ؟ وعَنْ شَبابِه فيمَ أَبْلاهُ؟ وعَنْ مَالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ وفيمَ أَنْفَقَهُ؟ وعَنْ علمِهِ ماذا عمِلَ فيهِ) صحيح الترغيب

الموفق هو من يدرك قيمة الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، ويكون على يقين أنه لا شيء يبقى على حاله، ف يملىء حياته بطاعة الله ويجتِب نفسه فيها كل ما يسخط الله تبارك وتعالى ويغضبه جل في علاه.

كان السلف إذا بلغوا الأربعين أقبلوا على آخرتهم إقبالا عظيما، وسن الأربعين سن النضج التي بعث فيها الأنبياء.

وصحة المرء وما يجده من قوةٍ ونشاط وعافيةٍ في حواسه وقواه لا تدوم ولا تستمر، فكل صحة يعقُبها ضعف ووهن ومرض، {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم:54]؛ ولهذا لا ينبغي للمرء أن يغتر بصحته وعافيته وقوته ونشاطه، فإن الصحة لا تدوم ولا تبقى، وإذا ذهبت عن المرء صحته وعافيته ندم أشد الندم أن لم يستعمل صحته وعافيته في طاعة الله جل وعلا.

وكثير من الناس يغتر بصحته وعافيته فيضيّعها في الآثام ويُذهِبها في المعاصي والحرام ثم يندم حيث لا ينفعه ندم، لأنه أضاع على نفسه رصيد من الحسنات، ينفعه في الشدائد والكربات.

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَانَ يعْمل مُقيما صَحِيحا» رَوَاهُ الْبُخَارِيّ

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، إِلاَّ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضًا، فَإِنْ عَافَاهُ، أُرَاهُ قَالَ: غَسَلَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ» أخرجه أحمد

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعا بلفظ: «ما من مسلمٍ يصابُ في جسدِه، إلا أمر اللهُ تعالى الحفَظةَ: اكتبوا لعبدي في كلِّ يومٍ وليلةٍ من الخيرِ ما كان يعملُ، ما دام محبوسًا في وَثاقي» صحيح الجامع

وما يجده المرء من مال ووفرةٍ في الخيرات والأرزاق لا تدوم ولا تبقى؛ فلا المال يبقى لصاحبه، ولا صاحب المال يبقى لماله؛ ولهذا على المرء أن لا يغتر بأمواله وتعددها فإنها زخرفٌ زائل ومتاعٌ فان، والعاقل من لا يغتر بزهرة الحياة الدنيا ولا يُفتن بأموالها وبهجتها

وكثير من الناس إذا كان في صحة وعافية ووفرة مال فإنه يميل عياذًا بالله إلى الفساد والطغيان كما قال الله جل وعلا: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) [العلق:6-7]

الآيات التي نزلت في ذم الوليد بن المغيرة وكل من يغتر بما أعطاه الله، فيستعمله فيما يسخط الله ويتحسر يوم لا تنفع الحسرة.

قال تعالى (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) المدثر

وقال تعالى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ) (56) المؤمنون)

وقال تعالى (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) الحاقة: 29

ولا يسْلم من فتنة المال والجاه إلا من وفقه الله عز وجل وعصمه ونجَّاه

✉والفراغ وهو ما يجده المرء في وقته من سعة يعقبه شغل ؛ فمن لا يغنم أوقاته بالطاعة ذهبت عليه أوقاته بالخسران والحرمان ،وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام :(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) صحيح البخاري؛ أي أنهما إذا اجتمعا للمرء صحةٌ في بدنه وفراغٌ في وقته ووفرةٌ في أمواله لا يحسن التصرف بل إنه يميل إلى المعاصي وتشده الآثام ،والذم ليس لمن يتمتع بما أعطاه الله وهو منقاد لشرع الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)،بل لكل من تشغله نعم الله عن طاعة الله ،او تحمله على معصية الله .

✉وحياة المرء في هذه الدنيا ليست حياةً دائمة بل إنه يعقبها موت، ولكل أجلٍ كتاب، وإذا جاء أجل المرء لن يستقدم عنه ساعة ولا يستأخر، والعاقل من يحرص على اغتنام حياته في طاعة الله تبارك وتعالى وما يقرب إليه؛ بحيث تكون كل ساعة يحياها وكل يوم يُفسح له في هذه الحياة امتدادًا في الطاعة والإقبال على الله جل وعلا، عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((اللهمَّ لا عيش إلا عيش الآخرة)). متفق عليه

📝عندما خير من ملكت الاخرة قلبه عليه الصلاة والسلام اختار الاخرة عن عبد الله بن عمررضي الله عنهما (جلسَ جبريلُ إلى النبيِّ فَنظرَ إلى السَّماءِ، فإذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فقال لهُ جبريلُ: هذا المَلَكُ ما نزلَ مُنْذُ خُلِقَ قبلَ هذه السَّاعَةِ، فلمَّا نزلَ قال: يا محمدُ! أَرْسَلَنِي إليكَ رَبُّكَ؛ أَمَلَكًا جعلكَ، أَمْ عبدًا رَسُولًا؟ قال لهُ جبريلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يا محمدُ! فقال رسولُ اللهِ: لا بَلْ عبدًا رَسُولًا) صحيح الترغيب

📝كان زهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ زهد من علم فناء الدنيا وسرعة زوالها، وبقاء الآخرة وما أعدّه الله لأوليائه فيها من نعيم مقيم وأجرعظيم، فرفض ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأخذ من الدنيا إلا بقدر ما يسدّ الرمق، فآثر حياة الزهد، وكثيرا ما كان يدعو ربه قائلا: (اللَّهمَّ أَحيِني مِسكينًا، وأَمِتْني مِسكينًا، واحشُرني في زُمرةِ المساكينِ يومَ القيامَةِ) (صحيح الترمذي).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت :(ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، مِن خُبْزِ شَعِيرٍ يَومَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حتَّى قُبِضَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) صحيح مسلم
وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: " إنَّما كانَ فراشُ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ الَّذي ينامُ عليهِ أَدَمٌ حشوُه ليفٌ "، وأَخْرَجَتْ إلَيْنَا عَائِشَةُ إزَارًا وَكِسَاءً مُلَبَّدًا، فَقالَتْ: في هذا قُبِضَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ" صحيح مسلم

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)(الترمذي).

عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ، قَالَتْ: بَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَائِشَةَ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، يَكُوْنُ مائَةَ أَلْفٍ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ. فَلَمَّا أَمْسَتْ، قَالَتْ: هَاتِي يَا جَارِيَةُ فُطُوْرِي. فَقَالَتْ مولاتها أُمُّ ذَرَّةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ، أَمَا اسْتَطَعْتِ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحْماً بِدِرْهَمٍ؟ قَالَتْ: لاَ تُعَنِّفِيْنِي، لَوْ أَذْكَرْتِيْنِي لَفَعَلْتُ.

📝العيش الحقيقي عيش الآخرة، فكان لابد من اغتنام الصحة والفراغ والمال والحياة، من اجل عيش الآخرة والدنيا مزرعة للآخرة، رأس مالك الصحة والفراغ تستغله للعيش الحقيقي.

✉عندما قدم سليمان عليه السلام الاخرة على الدنيا، ولم ينشغل بما أعطاه الله عن الله، وذبح الخيل لله فعوضه الله ريحا تجري حيث شاء.

قال الله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ). [سورة ص: 29- 33]

✉كان سليمان عليه السلام محباً للخيل من أجل الجهاد بها في سبيل الله، وكان معه الخيول الصافنات وهي الخيول القوية السريعة، وكانت ذو أجنحة، ويزيد عددها على عشرين ألفاً، فبينما هو يقوم بعرضها وتنظيمها، فاتته صلاة العصر نسياناً لا عمداً، فلما علم أن الصلاة قد فاتته من أجل هذه الخيول، قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي، ثم أمر بها فعقرت، فضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف، فلما علم الله سبحانه من عبده سليمان أنه ذبح هذه الخيول من أجله سبحانه، وخوفاً من عذابه، ومحبة وإجلالاً له، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) ، (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) ، فهذا أسرع وخير من الخيل، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال: (إِنَّكَ لن تدَعَ شيئًا اتِّقاءَ اللَّهِ، جَلَّ وعَزَّ، إلَّا أعطاكَ اللَّهُ خيرًا منهُ). رواه أحمد

✋العاقل من يجعل الدنيا سلم يرتقي بها الى الآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه، وأشارَ يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟ " رواه مسلم

✉قال علي رضي الله عنه:" إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ".

قال تعالى (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ...) الأنبياء

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) بخاري

وعنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :(لَغَدْوَةٌ في سبيلِ اللَّهِ، أوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيها)متفقٌ عليهِ.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا) صحيح مسلم

📝لوجمعنا قلوبنا وآمنا بهذه النصوص وصدقناها، لعلمنا ان ما نتمتع به خير مما يتمتع به الأمراء والملوك، لأن أجر الركعتين يوم القيامة خير مما هم فيه.

📝الدنيا مزرعة للآخرة، لابد أن يعظم عندنا شأن الآخرة ويعظم علينا فوات أي شيء في الآخرة وتهون علينا الدنيا قال تعالى (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...) (21) الحديد

المطلوب السباق للآخرة لا للدنيا، لقوله تعالى (لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (23) الحديد

لا تستحق الدنيا ان تفرح على شيء حصلت عليه او تحزن على شيء فاتك، لكن ما يستحق الحزن هو فوات شيء للآخرة كالأنس بالله، أولذة في الصلاة، فوات الطاعات، والغفلة عن العبادات وإلا فالدنيا كتبت وحسم أمرها، الحسرة على غدوة او روحة في سبيل الله.

((ليس يَتَحَسَّرُ أهلُ الجنَّةِ على شيءٍ إلَّا على ساعةٍ مرَّتْ بهم لم يذكروا اللهَ عزَّ وجلَّ فيها)) رواه الطبراني

المشكلة في عدم الشعور بالحقائق الايمانية، والسبب غشاوة وجدار صلب على القلب من الانشغال بالدنيا عن الآخرة، الآخرة امامك وملتفت ورائك، الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة، انت تارك ما هو امامك وتنظر خلفك وورائك.

وفي الدعاء المأثور عن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

وهي دعوة عظيمة مباركة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلنجمع لأنفسنا بين حسن الدعاء والالتجاء، وحسن العمل والإقبال على الله تبارك وتعالى، والرعاية للأوقات والحفظ للأعمار وحُسن الإقبال على الله العزيز الغفار.

حبيباتي الغاليات نحن لم نخلق عبثا ولن نترك سدى قال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115) المؤمنون

فالله خلقنا لغاية لا ينبغي لعاقل أن يجهلها ألا وهي عبادته جل وعلا، وجعل هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار كما في قوله تعالى(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)(2)الملك

وجعل الله هذه الدنيا دار ممر وليست دار مقر فنحن لسنا مخلدين في هذه الدنيا قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) (34) الأنبياء

وقد بين لنا الله حقيقة الدنيا التي جعلها محل اختبار لنا فقال سبحانه (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)(20) الحديد

ليست الدنيا الا هذه الخمسة: لعب بالأبدان ولهو بالقلوب وزينة وتفاخر وتكاثر.

وقال تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿7﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿8﴾ الكهف

أي أنَّ ما على الأرض جعله الله زينة للأرض وذلك لاختبار الناس هل يتعلقون بهذه الزينة أم يتعلقون بالخالق؟ الناس ينقسمون إلى قسمين، منهم من يتعلق بالزينة ومنهم من يتعلق بالخالق.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أتاني جبريلُ، فقال: يا محمدُ عِشْ ما شئتَ فإنك ميّتٌ، وأحبِبْ ما شئتَ، فإنك مُفارِقُه، واعملْ ما شئتَ فإنك مَجزِيٌّ به، واعلمْ أنَّ شرَفَ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزَّه استغناؤه عن الناسِ) السلسلة الصحيحة

📝نعم عش ما شئت، فإنك ميت: فمهما طال العمر أو قصر، فما هي إلا سنوات تمضي وبعدها الموت.

📝رأى عمر جنازة فسأل من الميت قالوا فلان فقال واعظا نفسه: اليوم مات فلان وفلان وغدا يقول الناس مات عمر!!!

📝وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل، المهم ماذا فعلت في هذا العمر؟ هل استفدت منه؟ هل عمرته بالخير؟ هل زينته بالتقوى؟ أم هو عامر بالمعاصي والغفلات وضياع الواجبات وانتهاك المحرمات، أم مليء بالطاعات والصدقات والصالحات؟؟؟

📝وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بعدم الركون والطمأنينة إلى هذه الدار الفانية، كما في وصيته لابن عمر رضي اللـه عنهما: (أَخَذَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وكانَ ابنُ عُمَرَ، يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) صحيح البخاري

✉ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما الذي يجعل الإنسان ينسى آخرته إلى هذا الحد؟ والجواب: إن أكبر آفتين يصاب بهما المسلم هما حب الدنيا والغفلة

📄حب الدنيا والغفلة مرضان من أخطر الأمراض على النفس المسلمة:

أولاً: حب الدنيا. (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) (17) الأعلى

📝فالكثير منا إلا من رحم الله يؤثر الدنيا على الآخرة والأولى أن نؤثر الآخرة على الأولى، نؤثر ما يبقى على ما يفنى.

📝يقول أحد الزهاد: لو كانت الدنيا ذهباً يفنى والآخرة خزفاً يبقى لآثر العاقل خزفاً يبقى على ذهب يفنى فكيف والدنيا أقل من خزف والآخرة أكثر من ذهب.

📝حب الدنيا هو الذي أهلك بعض الناس وهو الذي جرهم إلى الهاوية، هوالذي جعلهم يقاتل بعضهم بعضاً، يعادي الابن أباه ويعادي الأخ أخاه، وتقطع الأرحام في سبيل عرض يسير من الدنيا، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا، هذه الدنيا هي التي أبعدت الناس عن الله.

⇦ليس البلاء أن تكون الدنيا بيدك، ولكن البلاء أن تكون في قلبك، فتعميك عن الآخرة.

📝لقد كان في الأنبياء ملوك، يوسف وداود وسيلمان ولكن الدنيا لم تفتنهم عن آخرتهم، وكان في الصحابة أغنياء يملكون المال والذهب والفضة، ولكن إذا طلب منهم شيء قدموه لله رخيصاً.!!!

📝عندما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرحيل إلى غزوة تبوك حثّ الصحابة الأغنياء على البذل؛ لتجهيز جيش العسرة، الذي أعده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لغزو الروم، فأنفق أهل الأموال من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل على حسب طاقته وجهده

⇦أما عثمان بن عفان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقد ثبت أنه أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - يُقلِّبها في حجره، ويقول: ((ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم؟)) قالها مراراً

وقد جعل الله الناس صنفين:

منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة فقال تعالى (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا(18)) الإسراء

من كان يريد العاجلة، الدنيا وشهواتها وملذاتها وما فيها من مال وبنين وقناطير مقنطرة ونساء وكذا وكذا، سيأخذ نصيبه الذي أراده الله له، ولكن كيف تكون العاقبة؟ (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18) الإسراء

وفي مقابله:(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) (19) الإسراء

أراد الآخرة أي جعلها مبلغ همه وجعلها نصب عينيه، أما الذي جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه كالذين قال الله فيهم قال تعالى (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (29) النجم

⇦لم يرد إلا الحياة الدنيا، إذا عرض له أمران أحدهما للدنيا وأحدهما للآخرة آثر أمر الدنيا على أمر الآخرة

وقال بعض الصالحين: زهدت في الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها.

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب وقال: يا إمام لقد اشتريت دار، وأرجو إن تكتب لي عقد شراءها بيدك،

فنظر الإمام إليه فوجد الدنيا قد تربعت على عرش قلبه وملكت عليه أقطار نفسه فكتب قائلا، بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فقد أشترى ميت من ميت دارا تقع في بلد المذنبين، وسكة الغافلين، لها أربعة حدود الحد الأول ينتهي إلى الموت، والثاني ينتهي إلى القبر، والثالث ينتهي إلى الحساب، والرابع ينتهي إما إلى الجنة وإما إلى النار، فلما نظر الرجل في عقد الشراء، قال: ما هذا يا أمير المؤمنين، جئتك تكتب لي عقد شراء دار فكتبت لي عقد شراء مقبرة!!!

فقال علي بن أبي طالب:

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت ... إِنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها ... إِلّا الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ بانيها

فَإِن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُها ... وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها

أَموالُنا لِذَوي الميراثِ نَجمَعُها ... وَدورُنا لِخرابِ الدَهرِ نَبنيها

كَم مِن مَدائِنَ في الآفاقِ قَد بُنِيَت ... أَمسَت خَراباً وَدانَ المَوتُ دانيها

أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ مُسَلْطَنَةً ... حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوتِ سَاقِيهَا؟

لا تركِنَنَّ إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يُفنينا ويُفنيها

وَاعْمَلْ لِدَارٍ غَدٍ رِضْوانُ خَازِنُهَا ... وَالْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ نَاشِيهَا

قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا ... وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مُصَفًّى وَمِنْ عَسَلٍ ... وَالْخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا

وَالطيَّرُ تَجْرِي عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةً تُسَبِّحُ اللـهَ جَهْـرًا فِي مَغَانِيـهَا
مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الفِرْدَوسِ يَعْمُرُهَا بِرَكْعَةٍ فِـي ظَلامِ اللَّيلِ يُحْيِيـهَا؟

فبكى الرجل وقال: يا أمير المؤمنين أُشهد الله أني قد تصدقت بداري على الفقراء والمساكين

ثانياً: مرض الغفلة:

وشر ما يصاب به الإنسان هو الغفلة، أن يعيش غافلاً عن مهمته في هذه الحياة، يعيش غافلاً عما هو مكلف به، غافلاً عن ربه، غافلاً عن ذكره، غافلاً عن آخرته، قال تعالى :(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (٧) الروم

كثير من الناس يعيشون في الدنيا وكأنهم مخلدون، لا يدركون أنهم سينتقلون إلى دار آخرة، سيحاسبون على كل كلمة قالوها جهراً كانت أم سرا، على كل عمل عملوه خيراً كان أم شرا، على كل خطوة مشوها.

كثير من الناس في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون، يجلس بعضهم إلى بعض كل حديثهم عن الدنيا، و عن المال، والنساء و الشهوات وعن الربح والخسارة وهم عن الآخرة هم غافلون.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(9) المنافقون

من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله، وحق الله، ولقاء الله، وحساب الله، فأولئك هم الخاسرون.

وقال تعالى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ(10) المنافقون

أنفق وأعمل صالحاً قبل أن تأتي ساعة الموت، ساعة الاحتضار، هنالك تتصاغر حياتك ويتضاءل عمرك كله، وتتمنى لو أمهلت يوماً أو بعض يوم، أو ساعة أو لحظة لو أمهلت حتى أن تصلي ركعتين لو أمهلت حتى تتصدق بما تستطيع من مال لو أمهلت حتى تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لو أمهلت قليلاً، ولكن هيهات، يقول الله تعالى (وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11) المنافقون، لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وكلمة ساعة هنا ليست هي الساعة الفلكية ستون دقيقة، الساعة بالمعنى اللغوي اللحظة لا يستأخرون ساعة أي لا يستأخرون لحظة ولا يستقدمون، هو الأجل (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4) نوح

ولقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل كم عمرك قال الرجل: ستون سنة قال الفضيل: إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون فقال الفضيل: يا أخي هل عرفت معناها؟ قال الرجل: نعم عرفت أنى لله عبد وأنى إليه راجع فقال الفضيل: يا أخي إن من عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول، فليعد للسؤال جواباً، فبكى الرجل فقال يا فضيل: وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة أن تتقى الله فيما بقى، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقى.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» صححه الألباني

فالدنيا سجن للمؤمن بالنسبة لما أعدّ له في الآخرة من النعيم المقيم، وهي جنة الكافربالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم نسأل الله السلامة يوم القيامة، وقيل المؤمن صرف نفسه عن لذاتها فكأنه في السجن لمنع الملاذ عنه، والكافر سارح في الشهوات فهي له كالجنة.

واعلموا -رعاكن الله- أن هذه الحياة الدنيا دار ممرٍ وعبور وليست دار خلودٍ وبقاء؛ فعن علي رضي الله عنه قال: (ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكَيِّسُ مَن دان نفسَه وعمِل لما بعدَ الموتِ والعاجِزُ مَن أتبَع نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأمانِيَّ). الخطب المنبرية

إن الإنسان العاقلَ هو من يهتمُّ بما تضمنَه هذا الحديثُ إن عمِلَ خَيْرًا، أطاعَ اللهَ تباركَ وتعالى، تعلمَ الحلالَ والحرامَ وعمِلَ بما تعلَّمَ بأنْ أدَّى الواجباتِ واجتَنَبَ المحرمات، يكونُ له ذخرٌ كبيرٌ في الحياةِ الثانية، الحياة التي بعدَ الموت، فَمَنْ عَمِل لما ينفعُه بعدَ موتِه، لا يندمُ في الآخرة.

من اغتنَمَ صحتَهُ قبلَ مرضِهِ يكونُ جمعَ خيرًا كثيرًا، لأنَّ المرضَ يمنعُ الإنسانَ من أشياءَ كثيرةٍ كانَ يستطيعُ أن يعملَها في صِحَّتِه،وكذلكَ العاقلُ يغتنِمُ شبابَه قبلَ هَرَمِه، فلا ينبغي أن يكونَ الشابُّ غافِلاً عمَّا يستطيعُ أنْ يفعلَه لآخرتِه قبلَ أن يُدْرِكَه الهرَم،وكذلك ينبغي للعاقلِ أن يغتنِمَ غناهُ قبلَ فَقْرِه فيعمَلُ الصالحاتِ، ينفق على الفقراء والمساكين، و يبني مسجِدًا لله تعالى فيكون له صدقة جارية دائمة،ويصلَ أرحامَه بالإحسان إليهم مما رزقَه الله،يكفل يتيم،أويكفل طالب علم...وغير ذلك من أوجه الخير وينبغي أنْ يغتنِمَ عملَ البرِّ والخيرِ والإحسانِ لما يكون عنده فراغ، قبل أن يذهبَ هذا الفراغُ وينشغل بنفسه أو غيره عما ينفعه في الآخرة

قال عليٌّ رضيَ الله عنه:" الناسُ نِيَامٌ فإذا مَاتُوا انتَبَهُوا" معناهُ أنَّ أكثرَ الناسِ نيامٌ، أي غافِلُونَ عمَّا ينفعُهم لما بعدَ الموت، ثم بعدَ الموتِ يعرفونَ فيندَمُون. في حالِ سكَراتِ الموتِ، لما يَيْأَسُ منَ الحياةِ وبعدَ أن يُدفَنَ يَندَمُ، يقولُ يا ليتني أدَّيْتُ ما فرضَ اللهُ عليَّ، واجتَنَبْتُ ما حرّمَ اللهُ عليَّ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء، ندمي على يوم غربت فيه شمسه، نقص فيه أجلي ، ولم يزدد فيه عملي ".

ومن علامات رضى الله عن العبد، أن يُوفِقِه لاغتنام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة والاستمرار حتى يلقى الله عز وجل وهو على ذلك، فيزيدُ الله له الحسنات، ويمحو عنه الزلات، ويرفع له الدرجات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) فهنيئا لمن عمر حياته بطاعة مولاه.

إعداد الفقيرة لله: آمنة يغمور

الأثنين 6جمادى الأولى1442

2020/12/21

المراجع: محاضرة اغتنم خمسا قبل خمس عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر(بتصرف)

+-